دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 33، العدد 1، 2006

وسائِلُ الثباتِ في القُرآن والحدِيث

*أمين محمد المناسية**

ملخص

كفل الله تعالى للمسلم أفضل النتائج مع مختلف الظروف، ورسم له منهجاً متكاملاً في الثبات على الحق. وقد أجملت ذلك من خلال بيان مواطن الفتن، وكيفية النجاة منها باتباع تعاليم الكتاب والسنة. وأوجزت ذلك في خمس عشرة وسيلة معينة على الثبات على دين الله وهي: الإقبال على القرآن قراءة وفهماً وعملاً؛ التزام شرع الله والعمل الصالح خلقاً ومنهج حياة؛ تدبر قصص القرآن والتأسي بها؛ الدعاء واللجوء إلى الله تعالى، لأن الدعاء هو العبادة الحقيقية؛ ذكر الله تعالى في مواطن الشدة والرخاء؛ الحرص على السلوك الصحيح؛ التربية بأنواعها في النفس والبيت والأهل والمحيط؛ الثقة بالطريق المبني على منهج الكتاب والسنة؛ ممارسة الدعوة والعمل بمقتضياتها؛ استجماع الأخلاق المعينة على الثبات، والتخلق بها؛ معرفة حقيقة الباطل، وعدم الاغترار به على كل حال؛ الالتفاف حول عناصر الثبات؛ الثقة بنصر الله، وأن المستقبل للإسلام، ولو عظم سواد الباطل؛ وصية الرجل الصالح والاستفادة من خبرته؛ التأمل في نعيم الجنة، وعذاب النار، وذكر الموت. هذا الى جانب خاتمة اشتملت على النتائج والتوصيات.

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يا أَيها الَذِين آمنُواْ اتقُواْ اللّه حق تُقَاتِهِ ولاَ تَموتُن إِلا وَأَنتُم مسلِمون﴾[1]. ﴿ يا أَيها الناس اتقُواْ ربكُم الذي خَلَقَكُم من نفْسٍ واحِدةٍ وخَلَقَ مِنْها زوجها وبث مِنْهما رِجالاً كَثِيرا ونِساء واتقُواْ اللّه الَذِي تَساءلُون بِهِ والأَرحام إِن اللّه كَان علَيكُم رقِيبا﴾[2].﴿يا أَيها الَذِين آمنُوا اتقُوا الله وقولُوا قَولاً سدِيدا * يصلِح لَكُم أَعمالَكُم ويغْفِر لَكُم ذُنُوبكُم ومن يطِع الله ورسولَه فَقَد فَاز فَوزا عظِيما﴾ [3].

سبب البحث: تكمن أهمية الموضوع في ظهور الفتن، والمغريات، وسقوط الناس في مخالفة أوامر الله تعالى، وتساهلهم في متابعة النبيﷺ حتى صار القابض على دينه كالقابض على الجمر. بل تعدى هذا حتى صار الصالح يخشى بذل النصيحة، مما يتراءى للناس أن هذا من التطرف، والإرهاب. فصار من اللزوم بمكان عند كل ذي لب أن حاجة المسلم اليوم لمعرفة وسائل الثبات أعظم من حاجة أخيه لذلك أيام السلف، يضاف إلى ذلك تقلبات الزمان، وندرة الإخوان، وخيانة الخلان، وضعف المعين، وقلة الناصر.

خطة البحث: ولما كان الثبات له أسبابه وموجباته لزم ذكر ذلك وبيانه، فجاء الحديث عن الفتن قبل الكلام عن الثبات ووسائله فتم تقسيم البحث على النحو التالي:

الفصل الأول: الفتن أنواعها ومواطنها. وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً.المبحث الثاني: أنواع الفتن.المبحث الثالث: مواطن الفتن.

الفصل الثاني: مواطن الثبات ووسائله. المبحث الأول: تعريف الثبات لغة واصطلاحاً. المبحث الثاني: مواطن الثبات ووسائل الثبات.

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

الفصل الأول
الفتن أنواعها ومواطنها
المبحث الأول: الفتنة لغة واصطلاحاً

تعريف الفتنة لغة: فتن: الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة. يقال: فتن أفتن فتناً. وفتن الذهب بالنار، إذا امتحنه وهو مفتون وفتين.

والفتان: الشيطان. ويقال فتنه وافتنه.

قال الخليل: الفتن الإحراق، وشيء فتين: أي محرق، ويقال: للحرة فتين كأن حجارتها محرقة[4].

---

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة الإسلامية، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن. تاريخ استلام البحث 2004/3/8، وتاريخ قبوله 2004/12/23.

وفتن المال الناس من باب ضرب فتوناً: استمالهم، وفُتِن في زينته، وافتُتن أيضاً بالبناء للمجهول مال عنه، والفتنة المحنة والبلاء، والجمع فِتَن، وأصل الفتنة من قولك فتنت الذهب والفضة إذا أحرقته بالنار ليبين الجيد من الرديء[5].

قلت: والفتنة القتال والحرب العمياء الحاصلة بسبب إذكاء الشر بين الناس[6].

وقد تنوعت تعريفات الفتنة عند العلماء[7]، ويمكن إجمال ذلك بما يلي: "الاختبار والامتحان للإنسان في الشدة والرخاء، وكذلك لفظ البلاء مع زيادة في المعنى الذي نريده بلفظ (البلاء) وهو الحادث الذي فيه شدة ومشقة ينزل بالمرء لغرض اختباره وامتحانه به"[8] و"الشرك أو إلقاء الشبهات في قلوب المؤمنين أو التعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار"[9]. و"ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر، يقال فتن الذهب بالنار إذا أحرقته بها لتعلم انه خالص أو مشوب ؛ ومنه الفتانة وهو الحجر الذي يجرب به الذهب والفضة"[10].

وعندي أن الفتنة في الاصطلاح: اختبار وابتلاء الإنسان في الشدة والرخاء بوسائل مختلفة؛ بعضها من الله، وبعضها من الإنسان، وبعضها من الشيطان ليتم الحكم عليه.

المبحث الثاني
أنواع الفتن في القرآن ووجوهها

إن كلمة الفتنة من المشترك اللفظي الذي لا يكشف معناه إلا من خلال القرينة المرافقة، ولذلك فإن الفتنة ذات معانٍ متعددة تزيد على عشرين معنى، كما تقدم.

وذكر بعض المفسرين أن الفتنة اشتملت على خمسة عشر وجهاً[11] وإليك تفصيل شيء منها:

أولاً: الشرك: لفظ يطلق على من أشرك بالله، وجعل معه شريكاً في ملكه وتصرفه. وعظُم إثم الشرك لأنه كذب وزور وإنقاص لحق الله على خلقه، وتنقيص من عظمته سبحانه، فاستحق فاعله أن لا يغفر له ﴿ إِن اللهَ لا يغْفِر أن يشْرك بِه ويغْفِر ما دون ذَلِك لِمن يشاء﴾[12]. ومن الآيات التي وردت بمعنى الشرك:

قوله تعالى: ﴿وقَاتِلُوهم حتى لاَ تَكُون فِتْنَةٌ ويكُون الدين لِلّهِ﴾[13]. ﴿وقَاتِلُوهم حتى لاَ تَكُون فِتْنَةٌ﴾[14]. وقوله تعالى: ﴿والْفِتْنَةُ أَشَد مِن الْقَتْل﴾[15]. وقوله تعالى: ﴿كُلما ردوا إِلَى الْفِتْنةِ أُركِسوا فيها﴾[16]. وقوله تعالى: ﴿ولَو دخِلَتْ علَيهم من أَقْطَارِها ثُم سئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَـوها وما تَلَبثُوا بِها إِلاّ يسِـيرا﴾[17].

ثانيا: الكفر: كفَر بالله يكفُر كُفْراناً، وكفر النعمة وبالنعمة أيضاً جحدها، وفي الدعاء ((ولا نكفرك)): الأصل ولا نكفر نعمتك، وكفر بكذا تبرّأ منه، وفي التنزيل: ﴿إني كفَرتُ بما أَشْركْتُمونِي من قَبل﴾[18]. وكفر بالصانع نفاه وعطل وهو الدهري والملحد[19]. كقوله تعالى: ﴿فَأَما الَذِين في قُلُوبِهم زيغٌ فَيتبِعون ما تَشَابه مِنْه ابتِغَاء الْفِتْنَةِ﴾[20]. وقوله تعالى: ﴿والْفِتْنَةُ أَكْبر مِن الْقَتْل﴾[21].

ثالثا: الصرف: هو إبعاد الإنسان عن وجهته ومبتغاه إلى عكسه أو غيره. كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُوذِي فِي اللهِ جعلَ فِتْنَةَ الناسِ كَعذَابِ اللهِ﴾[22]. و قوله تعالى: ﴿واحذَرهم أَن يفْتِنُوك عن بعضِ ما أَنزلَ اللّه إِلَيك﴾[23]. وقولة تعالى: ﴿وإِن كَادواْ لَيفْتِنُونَك عن الَذِي أَوحينَا إِلَيك﴾[24].

رابعاً: القتل: إزهاق الروح وإخراجها من غير رغبتها، وفي غير أوانها في عرف الناس، وإلا فهو قَدراً أوانُها. كقوله تعالى: ﴿ فَما آمن لِموسى إِلا ذُريةٌ من قَومِهِ علَى خَوفٍ من فِرعون وملَئِهم أَن يفْتِنَهم﴾[25].

خامساً: الاعتذار: رفع اللوم، فهو معذور أي غير ملوم، واعتذر إليّ طلب قبول معذرته، واعتذر عن فعله أظهر عذره، واعتذرت منه بمعنى شكوته، وعذَر الرجل وأعذر صار ذا عيب وفساد، وفي حديث: "لن يهلك قوم حتى يعذِروا من أنفسهم" أي حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم[26]. وكقوله تعالى: ﴿ثُم لَم تَكُن فِتْنَتُهم إِلا أَن قَالُواْ واللّهِ ربنَا ما كُنا مشْرِكِين﴾[27].

سادساً: الفضيحة: العيب والجمع فضائح، وفضحته فضحاً من باب نفع، كشفته، وفي الدعاء ((لا تفضحنا بين خلقك)) أي استر عيوبنا ولا تكشفها، ويجوز أن يكون المعنى اعصمنا حتى لا نعصي فنستحق الكشف[28]. كقوله تعالى: ﴿ومن يرِدِ اللّه فِتْنَتَه فَلَن تَملِك له مِن اللّهِ شَيئًا ﴾[29].

سابعاً: الاختبار: من خَبر وهو الامتحان، واختبرته بمعنى امتحنته و(محنته) محناً من باب نفع اختبرته وامتحنته كذلك، والاسم المحنة والجمع مِحن مثل سِدرة وسدر[30]. كقوله تعالى: ﴿وقَتَلْتَ نَفْسا فَنَجينَاك مِن الْغَم وفَتَناك فُتونًا﴾[31]. وقوله تعالى: ﴿ ولَقَد فَتَنا الَذِين مِن قَبلِهم﴾[32]. و قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنا قَد فَتَنا قَومك مِن بعدِك﴾[33]. وقوله تعالى: ﴿ولَقَد فَتَنا قَبلَهم قَوم فِرعون﴾[34]. وقوله تعالى: ﴿حتى يقُولاَ إِنما نَحن فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُر﴾[35]. وقوله تعالى: ﴿وظَن داوود أَنما فَتَناه فَاستَغْفَر ربه﴾[36]. وقوله تعالى: ﴿ولَقَد فَتَنا سلَيمان وأَلْقَينَا علَى كُرسِيهِ جسدا﴾[37]. وقوله تعالى: ﴿واعلَمواْ أَنما أَموالُكُم وأَولادكُم فِتْنَةٌ﴾[38]. وقوله تعالى: ﴿وجعلْنَا بعضكُم لِبعضٍ فِتْنَةً﴾[39]. وقوله تعالى: ﴿ربنَا لا تَجعلْنَا فِتْنَةً للَذِين كَفَروا﴾[40]. وقوله تعالى: ﴿وإِن أَدرِي لَعله فِتْنَةٌ لَكُم ومتَاع إِلَى حِينٍ﴾[41].

ثامناً: الإضلال: من ضال وضل الرجل الطريق، وضل

عنه من باب ضرب ضلالاً وضلالةً زل عنه فلم يهتد إليه، هذه لغة نجد وهي الفصحى، وبها جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنما أَضِل على نَفْسِي﴾[42]. وفي لغة لأهل العالية من باب تعب، والأصل في الضلال الغيبة، ومنه قيل للحيوان الضّال ضالّة للذكر والأنثى، والجمع الضّوال، مثل دابّة ودوابّ[43]. وقد تركت باقي المعاني خشية الإطالة.

المبحث الثالث

مواطن الفتن

هناك مواطن كثيرة للفتن هي نفسها مواطن الثبات، ومن أهمها ما يلي:

1. فتنة المال.
2. فتنة الجاه.
3. فتنة الزوجة.
4. فتنة الأولاد.
5. فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم.
6. فتنة الدجال.
7. فتنة الجهاد وكراهية الموت.
8. فتنة المنهج.
9. فتنة القتال بين المسلمين.
10. فتنة التخلي عن نصرة المسلمين.
11. فتنة الممات.

وسيتم تفصيل الثبات فيها في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

مواطن الثبات ووسائله

المبحث الأول

تعريف الثبات لغة واصطلاحاً

الثبات لغة: (ثبت) الشيء يثبت ثبوتاً، دام واستقر، فهو ثابت، وبه سمي، وثبت الأمر صح، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أثبته، وثبته، والاسم: الثباتُ.[44]

الثبات اصطلاحاً: الدوام والاستمرار على التمسك بالحق، والمنهج الصحيح الذي ثبت عن رسول الله ﷺ، وأصحابه ؓ حتى يلقى الله عليه[45].

المبحث الثاني

مواطن الثبات ووسائله

مواطن الثبات

مواطن الثبات كثيرة تحتاج إلى بيان وتفصيل، لكننا سنكتفي بسرد بعضها على وجه الإجمال في هذا البحث.

أولاً: الثبات في الفتن

إن التقلبات التي تصيب القلوب سببها الفتن، وإن الفتن غير محصورة؛ فحيناً في المسرات، وحيناً في المضرات. فإذا تعرض القلب لفتن السراء أو الضراء فإنه يهتز طلباً لها، أو فرقاً منها، و عندها لا يثبت إلا أصحاب البصيرة والتوفيق الذين عمر الإيمان قلوبهم.

ومن أنواع الفتن:

أ- فتنة المال: قال تعالى: ﴿زين لِلناس حب الشهواتِ مِن النساء والْبنين والْقَنَاطِير الْمقَنطَرةِ مِن الذهبِ والْفِضةِ والْخَيل الْمسومةِ والأَنْعامِ والْحرثِ ذَلِك متَاع الْحياةِ الدنْيا واللّه عِنده حسن الْمآبِ﴾ [آل عمران/14]. للمال بريق يصعب على كثير من النفوس مقاومته إلا من عصم الله تعالى. وهو من خضرة الدنيا التي ينبغي الحذر منها، وقد نعى الله على المنافقين نكثهم لعهده لما اغتنوا فقال تعالى: ﴿ومِنْهم من عاهد اللّه لَئِن آتَانَا مِن فَضلِهِ لَنَصدقَن ولَنَكُونَن مِن الصالِحِين*فَلَما آتَاهم من فَضلِهِ بخِلُواْ بِهِ وتَولواْ وهم معرِضون﴾[46]. فليحذر المؤمن ذلك.

ب- فتنة الجاه: كثيرون هم الذين غرتهم الدنيا، فأنستهم الآخرة، ومن أخطر ما يفتن الإنسان ويغريه وينسيه فتنة المنصب، وعظمة السلطان، والظهور وتحدث الناس عنه بالثناء. فنبهنا الله تعالى لذلك. قال تعالى: ﴿ واصبِر نَفْسك مع الَذِين يدعون ربهم بِالْغَداةِ والْعشِي يرِيدون وجهه ولا تَعد عينَاك عنْهم تُرِيد زِينةَ الْحياةِ الدنْيا ولا تُطِع من أَغْفَلْنَا قَلْبه عن ذِكْرِنَا واتبع هواه وكَان أَمره فُرطًا﴾[47]. وعن خطورة الفتنتين السابقتين قال رسول الله ﷺ: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"[48]. والمعنى أن حرص المرء على المال والشرف أشد فساداً للدين من الذئبين الجائعين أرسلا في غنم.

ج- فتنة الزوجة: الزواج من أعظم نعم الدنيا ما دام يترسم به الإنسان منهج الحق. ولكنه مع ذلك سلاح ذو حدين فحذر الله من ذلك ونبه عباده، فقال تعالى: ﴿إِن مِن أَزواجِكُم وأَولادِكُم عدوا لَّكُم فَاحذَروهم﴾[49]. فلنأخذ بنصح الله وتوجيهاته وإلا خابت المساعي.

د- فتنة الأولاد: المال والولد زينة الحياة الدنيا، ومع ذلك فالحذر من فتنتهما لازم قال الله تعالى: ﴿إِنما أَموالُكُم وأَولادِكُم فِتْنَةٌ والله عِنده أَجر عظِيم﴾ [التغابن/15]. وقال رسول الله ﷺ: (الولد مجبنة مبخلة محزنة)[50].

هـ- فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم: ويمثلها أروع تمثيل قول الله عز وجل: ﴿ربنَا لاَ تَجعلْنَا فِتْنَةً للْقَومِ الظالِمِين﴾ [يونس/85] وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصحاب الأُخْدُودِ * النار ذَاتِ الْوَقُودِ *إِذْ هم علَيها قُعود *وهم علَى ما يفْعلُون بِالْمؤْمِنِين شُهود*وما نَقَموا مِنْهم إلا أَن يؤْمِنُوا بِاللهِ الْعزِيزِ الْحمِيدِ* الَّذِي لَه ملْك السماواتِ والأَرضِ والله علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد﴾[51]. وروى البخاري عن خباب رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقال عليه السلام: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد، من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه)[52].

و- فتنة الدجال: وهي أعظم فتن الحياة. قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله آدم أعظم من فتنة الدجال. يا عباد الله، أيها الناس: فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه قبلي نبي"[53].

ولثبات القلوب وزيغها أمام الفتن مراحل. يقول النبيﷺ: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مربداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه)[54]. ومعنى عرض الحصير، أي: تؤثر الفتن في القلب شيئاً فشيئاً. ومعنى مربداً: بياض شديد قد خالطه سواد، ومجخياً: أي مقلوباً منكوساً.

ثانياً: الثبات على الجهاد

الجهاد ذروة سنام الإسلام، وعزة المؤمنين، ومخزاة الكافرين، فيه مفارقة الإخوان، والأحبة، والجيران، ومتعة الدنيا وشهواتها، من أجل ذلك يحتاج إلى صمود وصبر. قال تعالى: ﴿يا أَيها الَّذِين آمنُواْ إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثْبتُواْ واذْكُرواْ اللّه كَثِيرا لعلَّكُم تُفْلَحون﴾[55]. ومن الكبائر في ديننا الفرار من الزحف وكان عليه الصلاة والسلام وهو يحمل التراب على ظهره في الخندق يردد مع المؤمنين: (وثبت الأقدام إن لاقينا)[56].

ثالثاً: الثبات على المنهج

إن هذه الدنيا التي نعمرها ذات شعاب ومفازات، وقليل من الناس من يوفق إلى الثبات على المبدأ والمنهج. والزيغ عن المنهج ضياع كلي، وانتكاس عظيم، فيه الكفر والنفاق، والفسق والفجور، والخيانة وسوء الخاتمة، ولذلك نبه تعالى فقال: ﴿مِن الْمؤْمِنِين رِجالٌ صدقُوا ما عاهدوا الله علَيهِ فَمِنْهم من قَضى نَحبه ومِنْهم من ينتَظِر وما بدلُوا تَبدِيلا﴾[57]. فالمبادئ أغلى من أرواحهم، وإصرارهم على ذلك لا يعرف التنازل.

رابعاً: الثبات عند الممات

وأما أهل الكفر والفجور فإنهم يحرمون الثبات في أشد الأوقات كربة فلا يستطيعون التلفظ بالشهادة عند الموت، وهذا من علامات سوء الخاتمة كما قيل لرجل عند موته: قل لا إله إلا الله، فجعل يحرك رأسه يميناً وشمالاً يرفض قولها. وآخر يقول عند موته: هذه قطعة جيدة، هذه مشتراها رخيص"، وثالث يذكر أسماء قطع الشطرنج. ورابع يدندن بألحان أو كلمات أغنية، أو ذكر معشوق. ذلك لأن مثل هذه الأمور أشغلتهم عن ذكر الله في الدنيا. وقد يرى من هؤلاء سواد وجه أو نتن رائحة، أو صرف عن القبلة عند خروج أرواحهم، أو لفظ الأرض لجثته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما أهل الصلاح والسنة فإن الله يوفقهم للثبات عند الممات، فينطقون بالشهادتين. وقد يرى من هؤلاء تهلل وجه، أو طيب رائحة، ونوع استبشار عند خروج أرواحهم. وهذا مثال لواحد ممن وفقهم الله للثبات في نازلة الموت، إنه أبو زرعة الرازي أحد أئمة أهل الحديث، وهذا سياق قصته:قال أبو جعفر محمد بن علي ورّاق أبي زرعة: حضرنا أبا زرعة بـ (ماشهران) قرية من قرى الري وهو في السوق أي عند احتضاره وعنده أبو حاتم، وابن وارة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم، فذكروا حديث التلقين (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) واستحيوا من أبي زرعة أن يلقنوه، فقالوا تعالوا نذكر الحديث، فقال ابن وارة: حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح، وجعل يقول ابن أبي -ولم يجاوزه- فقال أبو حاتم: حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السوق "وفتح عينيه" حدثنا بندار حدثنا أبو عاصم حدثنا عبد الحميد عن صالح بن أبي غريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) وخرجت روحه إلى رحمة الله.[58]

وأمثال هؤلاء قال الله فيهم: ﴿إِن الَّذِين قَالُوا ربنَا الله ثُم استَقَاموا تَتَنَزلُ علَيهِم الْملائِكَةُ أَلا تَخَافُوا ولا تَحزنُوا وأَبشِروا بِالْجنةِ الَّتِي كُنتُم تُوعدون﴾[59].

ومما يعين على الثبات في كل المواطن السابقة التسليم

بأن القدر قد سبق في ذلك، فالله تعالى يقول: ﴿ما أَصاب مِن مصِيبةٍ فِي الأَرضِ ولا فِي أَنفُسِكُم إلا فِي كِتَابٍ من قَبل أَن نبرأَها إِن ذَلِك علَى اللهِ يسِير * لِكَيلا تَأْسوا علَى ما فَاتَكُم ولا تَفْرحوا بِما آتَاكُم والله لا يحِب كُل مخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد، 22-23]. والعلم بأن الدنيا دار ابتلاء فلا يتوقع فيها راحة بلا نكد، فلا داعي للجزع لأن الجزع مصيبة ثانية. وليشكر الله أن وقاه مصيبة أكبر، وليتأس بمن أُصيب بمثل بلائه، أو أكبر منه، وليعلم أن طلب الأجر وفضل الصبر أعظم من البلاء. فلا بد من إعداد قِرى الصبر لصنوف البلايا. فإن الغاية الوصول إلى مقام الرضا عند الله. وأنه كيفما جرى القضاء فذلك خير له، وأن تشديد البلاء يختص بالأخيار، وأنه مملوك لله فليس له في نفسه شيء، وان ما أصابه أصابه برضاء المالك وإرادته، فالله لا يتهم في قضائه، وانه عليه معاتبة نفسه إذا جزعت، وعليه أن يسلي نفسه بأنها ساعة ستمر كما مر غيرها، وأن يتخيل نعيم الجنة، وان كل ما يبذل للوصول إليها حقير مقابلها، وان الإنسان موجود على كل حال فوجوده بعد الموت خير من وجوده قبل الموت، وانه قد مات خيار الخلق فلا بد من الصبر.

قد مـات كل نبي   ومـات كل بنيـه
ومـات كل لبيب   وعـالم وفقيـ ـه
أيوحشـن طريق   كـل الخلائق فيـه

فآدم قد عانى المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى أعواماً، وإبراهيم كابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب البصر، وموسى قاسى من فرعون ولقي من قومه المحن، وعيسى لا مأوى له إلا البر في العيش الضنك، ومحمد صابر الفقر، وقَذْفَ المنافقين لزوجه، وقتل من يحبه.[60]

وإياك أن تسمع مقالة الكفار "إن الدنيا مرتعة وملهاة، ومملكة، ومفخرة، فيرتعون أيام صباهم، ويلعبون أيام شبابهم، ويملكون إذا بلغوا أشدهم، ويفخرون بعد ذلك بأفعالهم وآثارهم، وليس الدنيا كذلك، بل هي مخدعة بزخارفها، ثم متعبة بمطالبها، ثم معركة في متاركة أهلها على مواهبها، ثم مهلكة عياناً، ولم ينل المنى منها إيقاناً".[61]

وسائل الثبـات

لما كان ارتباط هذا الموضوع بالقلب؛ الذي يقول النبي ﷺ في شأنه: (لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياً)[62]. ويضرب عليه الصلاة والسلام للقلب مثلاً آخر فيقول: (إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن)[63].

فتثبيت هذا المتقلب ضد رياح الشهوات والشبهات أمر خطير يحتاج لوسائل جبارة تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها. فمن ذلك ما يلي:

1. الإقبال على القرآن قراءة وفهماً وعملاً.
2. التزام شرع الله والعمل الصالح خلقاً ومنهج حياة.
3. تدبر قصص القرآن والتأسي بها.
4. الدعاء واللجوء إلى الله تعالى، لأن الدعاء عبادة.
5. ذكر الله تعالى في مواطن الشدة والرخاء.
6. الحرص على السلوك الصحيح.
7. الثقة بالطريق المبني على منهج الكتاب والسنة.
8. ممارسة الدعوة والعمل بمقتضياتها.
9. الالتفاف حول عناصر الثبات.
10. الثقة بنصر الله، وأن المستقبل للإسلام، ولو عظم سواد الباطل.
11. معرفة حقيقة الباطل، وعدم الاغترار به على كل حال.
12. استجماع الأخلاق المعينة على الثبات، والتخلق بها.
13. وصية الرجل الصالح والاستفادة من خبرته.
14. التأمل في نعيم الجنة، وعذاب النار، وذكر الموت.

توضيح وسائل الثبات

من رحمة الله عز وجل بالناس أن بين لهم في كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته ﷺ وسائل الثبات. أستعرض معك أيها القارئ الكريم بعضاً منها ليكون لك عوناً.

الإقبال على القرآن قراءة وفهما وعملاً

القرآن الكريم وسيلة الثبات العظمى، فهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. ولقد نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب مفصلاً هي التثبيت، فقال سبحانه في معرض الرد على شُبه الكفار: ﴿وقَالَ الَذِين كَفَروا لَولا نُزلَ علَيهِ الْقُرآن جملَةً واحِدةً كَذَلِك لِنُثَبتَ بِهِ فُؤَادك ورتلْنَاه تَرتِيلا * ولا يأْتُونَك بِمثَلٍ إِلا جِئْنَاك بِالْحق وأَحسن تَفْسِيرا﴾[64].

وكان جواب الله تعالى لرسوله ﷺ، لما قال المشركون: (ودع محمد...)[65]: ﴿ما ودعك ربك وما قَلَى﴾[66].

ورده عز وجل على الكفار لما ادعى كفار قريش أن محمداً ﷺ إنما يعلمه بشر وانه يأخذ القرآن عن نجار رومي بمكة: ﴿لِسان الَذِي يلْحِدون إِلَيهِ أَعجمِي وهذَا لِسان عربِي مبِين﴾[67].

وأثر قول الله عز وجل في نفوس المؤمنين لما قال

المنافق: "ائذن لي ولا تفتني"، أليس تثبيتاً على تثبيت، وربطاً على القلوب المؤمنة، ورداً على الشبهات، وإسكاتاً لأهل الباطل...؟ بلى وربي، ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[68].

ألا ترى أن الله يعد المؤمنين في رجوعهم من الحديبية بغنائم كثيرة يأخذونها (وهي غنائم خيبر) وأنه سيعجلها لهم، وأنهم سينطلقون إليها دون غيرهم، وأن المنافقين سيطلبون مرافقتهم، وأن المسلمين سيقولون لن تتبعونا، وأنهم سيصرون يريدون أن يبدلوا كلام الله، وأنهم سيقولون للمؤمنين بل تحسدوننا، وأن الله أجابهم بقوله: ﴿بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلا﴾ ثم يحدث هذا كله أمام المؤمنين مرحلة مرحلة وخطوة خطوة وكلمة كلمة مرتباً؟ وهكذا ندرك الفرق بين الذين ربطوا حياتهم بالقرآن، وأقبلوا عليه تلاوة وحفظاً وتفسيراً وتدبراً، ومنه ينطلقون، وإليه يفيئون، وبين من جعلوا كلام البشر جل همهم، وشغلهم الشاغل.

التزام شرع الله والعمل الصالح خلقاً ومنهج حياة

أكرم الله تعالى الإنسان بإرسال الرسل، وإنزال الكتب ليعينه ويوجهه إلى ما فيه خير دينه ودنياه وآخرته، فحذره وبشره، وأوعده ووعده، فقال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[69]. قال قتادة: "أما في الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر". وكذا روي عن غير واحد من السلف[70]. وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[71]، أي على الحق. وهذا بيّن، وإلا فهل نتوقع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أطلت الفتنة برأسها وادلهم الخطب؟ لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطاً مستقيماً.

تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل

لم يكن القصص القرآني لمجرد السمر والتسلية، وإنما كان للتدبر، وأخذ العبرة، والأسوة، قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[72].

فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله ﷺ للتلهي والتفكه، وإنما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وأفئدة المؤمنين معه، ومن يأتي من بعدهم. تأمل قول الله عز وجل: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾[73]. قال ابن عباس: "كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل"[74].

فهلا تصورت عظمة ثبات إبراهيم عليه السلام أمام الطغيان والعذاب تدخل نفسك وأنت تتأمل هذه القصة، وكيف يقوى عزمك وتصبح مستعداً لتحدي الباطل وأهله؟

و تدبر قول الله عز وجل في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[75]. أليس في هذا معنى آخر من معاني الثبات، فيقوى عزمك بالرغم من ملاحقة الطالبين، ويقوى ثباتك في لحظات الشدة وسط صرخات المقهورين وأنت تتدبر هذه القصة؟

وتدور الأيام، وينتصر موسى بالوحي، وينازل فرعون، ويتجدد التحدي، ويظهر الثبات في قصة سحرة فرعون، ذلك المثل العجيب للثلة التي ثبتت على الحق بعدما تبين نوره.

ألا ترى أن معنى عظيماً من معاني الثبات يستقر في النفس أمام تهديدات الظالم وهو يقول: ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[76]؟ انه ثبات وأي ثبات، ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع وهم يقولون: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[77]. ومثل ذلك قصة مؤمن قوم يس، ومؤمن آل فرعون، وأصحاب الأخدود وغيرها؛ الثبات أعظم دروسها وعبرها.

الدعاء والتضرع واللجوء إلى الله، لأن الدعاء عبادة

يكاد يكون من أعظم صفات عباد الله المؤمنين التوجه إلى الله بالدعاء وطلب التثبيت في مختلف الظروف والأحوال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[78]، وهذه الآية تكشف أن أعظم الخلق وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون ربهم رغبة فيما عنده، وخوفاً من عقوبته، ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[79]، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾[80]. ولما كانت قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء[81]، فنبهنا رسول الله ﷺ وعلمنا بفعله وقوله؛ فكثيرا ما يكرر ويقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[82].

الإكثار من ذكر الله في مواطن الشدة والرخاء

وهو من أعظم أسباب الثبات. فتأمل هذا الاقتران بين الذكر والثبات في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[83]، فجعله

من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

وكيف استعان يوسف الصديق عليه السلام في الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب والجمال لما دعته إلى نفسها؟ ألم يدخل في حصن "معاذ الله"، فتكسرت أسلحة جنود الشهوات على أسوار حصنه؟ وهكذا تكون فاعلية الأذكار في تثبيت المؤمنين.

الحرص على أن يسلك المسلم الطريق الصحيح

إن الطريق الصحيح المنجي هو طريق أهل السنة والجماعة، طريق الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، أهل العقيدة الصافية، والمنهج السليم، واتباع السنة والدليل، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل. وأكبر برهان لمعرفة قيمة هذا في الثبات أن تتأمل وسائل نفسك: لماذا ضل كثير من السابقين واللاحقين وتحيروا ولم تثبت أقدامهم على الصراط المستقيم ولا ماتوا عليه، أو وصلوا إليه بعدما انقضى جل عمرهم وأضاعوا أوقاتاً ثمينة من حياتهم؟

الثقة بسلامة الطريق المبني على منهج الكتاب والسنة

كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم، كان ثباته عليه أكبر، ولهذا وسائل منها:

الشعور بالاصطفاء، قال الله عز وجل: ﴿الْحمد لِلهِ وسلام علَى عِبادِهِ الَّذِين اصطَفَى﴾[84]. وقال: ﴿ثُم أَورثْنَا الْكِتَاب الَّذِين اصطَفَينَا مِن عِبادِنَا﴾[85]. وقال: ﴿وكَذَلِك يجتَبِيك ربك ويعلِّمك مِن تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ﴾[86]. وكما أن الله اصطفى الأنبياء فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء.

واطمئنانك الى أن الصراط المستقيم الذي تسلكه ليس جديداً ولا وليد قرنك وزمانك، وإنما هو طريق عتيق (عتيق صفة مدح) قد سار فيه من قبلك الأنبياء والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون، فتزول غربتك، وتتبدل وحشتك أنساً، وكآبتك فرحاً وسروراً، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جماداً، أو دابة، أو كافراً ملحداً، أو داعياً إلى بدعة، أو فاسقاً، أو مسلماً غير داعية لإسلامه، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء؟

ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك، وأن جعلك داعية من أهل السنة والجماعة، وهو من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك؟

ممارسة الدعوة إلى الله عز وجل والعمل بمقتضاها

النفس في صفائها كالماء إن لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الرسل، ومخلصة النفس من العذاب؛ فيها تتفجر الطاقات، وتنجز المهمات: ﴿فَلِذَلِك فَادع واستَقِم كَما أُمِرتَ﴾[87]. وليس يصح شيء يقال فيه "فلان لا يتقدم ولا يتأخر، "فإن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية – كمن يقول: أشغل رجالك وإلا اشتغلوا فيك-، فلا بد من العمل، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

والدعوة إلى المنهج الصحيح تكون ببذل الوقت، وكدّ الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة هم المسلم وشغله الشاغل، يقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة.

زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق، والمعاندين، وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدعوي، فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه، ويعلو بنيانه.

فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات، والحماية من التراجع والتقهقر، لأن الذي يهاجم لا يحتاج للدفاع، والله مع الدعاة يثبتهم، ويسدد خطاهم، والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه، وبمحاربته في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه.

الالتفاف حول عناصر الثبات

وأي عناصر تلتف حولها؟ إنها تلك العناصر التي من صفاتها ما أخبرنا به ﷺ: (إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر)[88].

الانتفاع بالعلماء والصالحين والدعاة المؤمنين، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات. وقد حدثت في التاريخ الإسلامي فتن ثبت فيها المسلمون برجال، كما أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة بالقول بخلق القرآن، وبابن تيمية في مواقف لا تنكر.

واسمع ابن القيم يثني على دور ابن تيمية في التثبيت: "وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها"[89].

إن الاخوة الإسلامية مصدر أساسي للتثبيت، فإخوانك الصالحون، وأهل القدوة، والمربون، هم عونك في الطريق، والركن الشديد الذي تأوي إليه فيثبتوك بما معهم من آيات الله

والحكمة. الزمهم وعش في أكنافهم، وإياك والوحدة فتتخطفك الشياطين، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام ولو عظم سواد الباطل

تشتد الحاجة إلى الثبات عند تأخر النصر، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، قال تعالى: ﴿وكَأَين من نِبِي قَاتَلَ معه ربيون كَثِير فَما وهنُواْ لِما أَصابهم فِي سبِيلِ اللّهِ وما ضعفُواْ وما استَكَانُواْ واللّه يحِب الصابِرِين*وما كَان قَولهم إِلا أَن قَالُواْ ربنَا اغْفِر لَنَا ذُنُوبنَا وإِسرافَنَا فِي أَمرِنَا وثَبتْ أَقْدامنَا وانصرنَا علَى الْقَومِ الْكَافِرِين * فَآتَاهم اللّه ثَواب الدنْيا وحسن ثَوابِ الآخِرةِ واللّه يحِب الْمحسِنِين﴾[90].

واذكر توجيه رسول الله ﷺ لأصحابه المعذبين في مكة ليثبتهم، أخبرهم أن المستقبل للإسلام، فماذا قال؟ ففي حديث خباب مرفوعاً عند البخاري: (وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[91].

فهلا جمعنا تلك الأحاديث المشابهة التي تبين أن المستقبل لهذا الدين وعلمناها ناشئة المسلمين لنتربى وإياهم على الثبات؟

معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به وكشفه على كل حال

تعال معي لنسمع قوله عز وجل ﴿لاَ يغُرنك تَقَلب الَّذِين كَفَرواْ فِي الْبِلاَدِ * متَاع قَلِيلٌ ثُم مأْواهم جهنم وبِئْس الْمِهاد﴾[92]. انه تسرية عن المؤمنين وتثبيت لهم. وقوله تعالى: ﴿فَأَما الزبد فَيذْهب جفَاء وأَما ما ينفَع الناس فَيمكُثُ فِي الأَرضِ﴾[93]عبرة لأولي الألباب فلا يخافون الباطل، ولا يخشون، ولا يستسلمون له، ولو كثر جنده، وعظمت ضوضاؤه، فإن الله سيفضحه، ويكشف عواره. ألا ترى القرآن يفضح أهل الباطل، ويعري أهدافهم، ووسائلهم ﴿وكَذَلِك نفَصلُ الآياتِ ولِتَستَبِين سبِيلُ الْمجرِمِين﴾[94] كي لا يؤخذ المسلمون على غرة، وكي يعرفوا من أين يؤتى الإسلام؟

لقد سمعنا ورأينا حركات قد تهاوت، ودعاة زلت أقدامهم، ففقدوا الثبات على المنهج لما أُتُوا من حيث لم يحتسبوا بسبب جهلهم بأعدائهم، وتساهلهم في حق أنفسهم.

استجماع الأخلاق المعينة على الثبات والتخلق بها

لقد بعث المصطفى ليكمل ويتمم مكارم الأخلاق، وعلى رأس تلك الصبر، ففي حديث الصحيحين: (وما أعطي أحد عطاء خيرا من الصبر)[95]. وأشد الصبر عند الصدمة الأولى، وإذا أصيب المرء بما لم يتوقع، تحصل النكسة، ويزول الثبات إذا عدم الصبر. يقول ابن الجوزي: "رأيت كبيراً قارب الثمانين وكان يحافظ على الجماعة فمات ولد لابنته، فقال: ما ينبغي لأحد أن يدعو، فإنه ما يستجيب. ثم قال: إن الله تعالى يعاند فما يترك لنا ولداً"[96]، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً. و لما أصيب المسلمون في غزوة أحد، لم يكونوا ليتوقعوا تلك المصيبة، لأن الله وعدهم بالنصر، فعلمهم الله تعالى بذلك درساً شديداً ثمنه الدماء والشهداء: ﴿أَولَما أَصابتْكُم مصِيبةٌ قَد أَصبتُم مثْلَيها قُلْتُم أَنى هذَا قُلْ هو مِن عِندِ أَنْفُسِكُم إِن اللّه علَى كُلِ شَيءٍ قَدِير﴾[97]، فماذا حصل من عند أنفسهم؟ إنه التنازع في الأمر، والعصيان من بعد ما أراهم الله ما يحبون من ظهور النصر، ﴿مِنكُم من يرِيد الدنْيا﴾ [آل عمران/152]، فزلت الأقدام بعد ثبوتها.

الحرص على وصية الرجل الصالح والاستفادة من خبرته

عند التعرض للابتلاء والفتن والتمحيص عليك بالصالحين، أمسك على وصاياهم، فإنها من عوامل الثبات، فإذا قيض الله لك رجلاً صالحاً يعظك ويثبتك، فتكون كلمات ينفع الله بها، ويسدد بها الخطى، فتكون تلك الكلمات مشحونة بالتذكير بالله، ولقائه، وجنته، وناره، وعدم الاغترار.

تعلم سيرة الإمام أحمد رحمه الله، الذي دخل المحنة ليخرج ذهباً نقياً. لقد سيق إلى المأمون مقيداً بالأغلال، وقد توعده وعيداً شديداً قبل أن يصل إليه، حتى لقد قال خادم للإمام أحمد: (يعز عليّ يا أبا عبد الله، أن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ، لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف)[98]. فسارع أهل البصيرة واستغلوا الفرصة ليلقوا إلى إمامهم بكلمات التثبيت ؛ فعن أبي جعفر الأنباري قال: "لما حمِل أحمد إلى المأمون أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه. فقال: يا أبا جعفر تعنيت. فقلت: يا هذا، أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن لم تُجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك، فإنك تموت، لابد من الموت، فاتق الله ولا تجب. فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله. ثم قال: يا أبا جعفر أعِد... فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله"[99].

ومما قال الإمام أحمد في سياق رحلته إلى المأمون: "صرنا إلى الرحبة منها في جوف الليل، فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا. فقال للجمال: على رسلك... ثم قال: "يا هذا، ما عليك أن تُقتل ها هنا، وتدخل

الجنة"؟ ثم قال: أستودعك الله، ومضى. فسألت عنه، فقيل لي هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الصوف في البادية يقال له جابر بن عامر يذكر بخير"[100].

ومن ذلك أيضاً أن أعرابياً قال للإمام أحمد: "يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه، فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله، فاصبر على ما أنت فيه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل".فقال الإمام أحمد: وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع عن ذلك الذي يدعونني إليه.[101]

وفي رواية أن الإمام أحمد قال: "ما سمعت كلمة وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة الأعرابي كلمني بها في رحبة طوق وهي بلدة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات، قال: "يا أحمد إن يقتلك الحق متّ شهيداً، وإن عشت عشت حميداً"، فقوي قلبي"[102].

ويقول الإمام أحمد عن مرافقة الشاب محمد بن نوح الذي صمد معه في الفتنة: ما رأيت أحداً - على حداثة سنه، وقدر علمه – أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير. قال لي ذات يوم: "يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك قد مد الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله، واثبت لأمر الله. فمات وصليت عليه ودفنته"[103]. وحتى أهل السجن الذين كان يصلي بهم الإمام أحمد وهو مقيد، ساهموا في تثبيته. فقد قال الإمام أحمد مرة في الحبس: "لست أبالي بالحبس – ما هو ومنزلي إلا واحد – ولا قتلاً بالسيف، وإنما أخاف فتنة السوط" فسمعه بعض أهل الحبس فقال: "لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي"، فكأنه سري عنه.[104]

فعليك بوصية من الصالحين، واعقلها إذا تليت عليك. واطلبها قبل سفر إذا خشيت مما قد يقع فيه. واطلبها في أثناء ابتلاء، أو قبل محنة متوقعة. واطلبها إذا عينت في منصب أو ورثت مالاً وغنى. وثبت نفسك، وثبت غيرك والله ولي المؤمنين. إن لنا في رسول اللهﷺ أسوة حسنة. والعلماء ورثة الأنبياء. فاحرص على الميراث الذي ينجي صاحبه.

التأمل في نعيم الجنة، وعذاب النار، وتذكر الموت

واعلم أن الجنة بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومحط رحال المؤمنين، والنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات، إلا بمقابل يهوّن عليها الصعاب، ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق. فالذي يعلم عظيم الأجر تهون عليه مشقة العمل، وهو يسير ويعلم أنه إذا لم يثبت فستفوته جنة عرضها السموات والأرض، ثم إن النفس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي، ويجذبها إلى العالم العلوي. فقد كان النبي ﷺ يقول للأنصار: (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)، متفق عليه.

وتأمل حال الفريقين في القبر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، وسائر منازل الآخرة. وتذكر الموت فإن ذكره يحمي المسلم من التردي، ويوقفه عند حدود الله فلا يتعداها، لأنه إذا علم أن الموت أدنى من شراك نعله، وأن ساعته قد تكون بعد لحظات، فكيف تسول له نفسه أن يزل، أو يتمادى في الانحراف؟ ولأجل هذا قال ﷺ: (أكثروا من ذكر هاذم اللذات)[105].

الخاتمة، وفيها النتائج والتوصيات

لما كان صلاح الإنسان وفساده مداره على القلب لقولهﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب"،[106] لذلك فإن أهم عضو يحتاج إلى الثبات هو القلب، لزم معرفة المخاطر التي تؤثر عليه، من الفتن المختلفة، والفتن المضلة، ولزم وضع الدواء لها بمعرفة وسائل التثبيت والحفظ، والعناية، وعدم الغفلة، والاحتياط من القريب، والبعيد؛ كالزوجة، والولد، والنفس، والمال، والرغبة في بحبوحة العيش. فنحن في زمنٍ القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر؛ فعن أنسؓ قال: قال رسول اللهﷺ: "يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر".[107]

وقد اشتمل البحث على التعريف بمواطن الفتن، ووسائل الثبات، وكبح المحن مشفوعاً بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ليقوى قلب المؤمن، ويثبت على طاعة الله تعالى، وإن اكتنفته الشدائد، وأحاطت به الأعاصير، فهو مستيقظ يراقب ما يرضي ربه، غير غافل عما يكاد له. فجاءت وسائل الثبات بلسماً لتشد من أزره، وتعينه على كيفية التصدي لنوائب دهره، مع المعرفة المبصرة بأن شهوات الدنيا مهما لمع بريقها، وطاب مذاق ريقها، لذائذ زائلة، لا تصلح للمقارنة مع النعيم الذي لا ينفد، واللذة التي لا تنقضي في جوار الرحمن.

فجاء هذا البحث وسيلة موجزة، وأرجو أن تكون محكمة إن شاء الله تعالى، ليأخذ بيد من يقرؤه، أو ينصح بقراءته لغيره، لتثبيت القلوب على درب الإسلام والإيمان، وخصوصاً في زمن تعصف فيه رياح الشهوات، في البيوت والفلوات، وصار الأمر فيه للرويبضات[108] من أبناء الأمة،

العاجزين عن كشف الغمة، لضعف الهمة. فبدلاً من أن يكونوا عوناً على الخير، صاروا أنصاراً للغير. يتكلمون بلساننا، يبيعون لنا الكلام، وهم من عسكر العدو وأنصاره. فليتيقظ المسلم، وليفتح عينيه على الواقع، وليقارن ذلك بالتعاليم الإسلامية، والسنن الربانية، ولا يغفل عن طلب العون من إخوانه، ولا يقصر في استخدام الوسائل المتقدمة، حتى يحفظ عليه نعمة الدين، ويخرج من دنياه إلى أخراه قرير العين، شامخ الجبين، مطمئناً على عاقبته، فإنه من مأمنه يؤتى الحذر.

ولست أدعي كمالاً، فأنا معترف بضعفي، فقير إلى من يأخذ بيدي، ويقف معي، فإن رأيت عيباً أو نقصاً فإن الله ستير يحب الستر، وإن رأيت خيراً فالحمد لله على توفيقه. والله أسأل أن يجعل هذا البحث باباً للولوج إلى رحمته، وسبباً في دخول جنته، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش

(1) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم102.

(2) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم1.

(3) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية رقم70.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط1.

(5) الفيومي، المصباح المنير، كتاب الفاء، مادة (فتن).

(6) قول استنبطته من الأثر (الفتنة نائمة فلعن الله من أيقظها).

(7) الموسوعة الفقهية، م32، ص 18. رضا، تفسير المنار، ج6. الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج4، ص167-169. الكرمي، الهادي إلى اللغة العربية، ط1، 1413هـ/1993م، ص374. الجرجاني، كتاب التعريفات، ط4، 1418هـ/1998م، ص212. تريس، معجم التعبيرات القرآنية، ط1، 1418هـ/1998م، ص55.

(8) زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ط3، 1414هـ/1994م، ص81.

(9) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، م1(ج1-2)، ط1، 1416هـ/1996م، ص597.

(10) الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 94.

(11) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط2.

(12) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم 48.

(13) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية رقم 39 .

(14) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم 193 .

(15) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم 191 .

(16) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم 91 .

(17) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية رقم 14 .

(18) القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية رقم 22.

(19) المصباح المنير، ص304.

(20) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم 7 .

(21) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم 217.

(22) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية رقم 10 .

(23) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية رقم 49.

(24) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية رقم 73 .

(25) القرآن الكريم، سورة يونس، الآية رقم 83 .

(26) المصباح المنير، ص 151.

(27) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم 23 .

(28) المصباح المنير، ص181.

(29) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية رقم 41.

(30) المصباح المنير، ص316.

(31) القرآن، الكريم، سورة طه، الآية رقم 40 .

(32) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية رقم 3 .

(33) القرآن الكريم، سورة طه، الآية رقم 85 .

(34) القرآن، الكريم، سورة الدخان، الآية رقم 17 .

(35) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم 102 .

(36) القرآن الكريم، سورة ص، الآية رقم 24 .

(37) القرآن الكريم، سورة ص،الآية رقم 34 .

(38) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية رقم 28 .

(39) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية رقم 20 .

(40) القرآن الكريم، سورة الممتحنة، الآية رقم 5 .

(41) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم 111.

(42) القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية رقم 50.

(43) المصباح المنير، ص138.

(44) الفيروزابادي، القاموس المحيط، فصل الثاء، باب التاء. الفيومي، المصباح المنير، كتاب الثاء، الثاء مع الباء وما يثلثهما، ص31.

(45) استنبطته من خلال الاطلاع على المعاني فاختصرته بهذه الصورة.

(46) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآيتان 75، 76.

(47) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية رقم 28.

(48) رواه الإمام أحمد في المسند 460/3، وهو في صحيح الجامع 5496.

(49) القرآن الكريم، سورة التغابن، الآية رقم 14.

(50) رواه أبو يعلى 305/2 وله شواهد، وهو في صحيح الجامع، 7037.

(51) القرآن الكريم، سورة البروج، الآيات 4-9.

(52) رواه البخاري، انظر فتح الباري، 315/12.

(53) رواه ابن ماجة، 1359/2، انظر صحيح الجامع، 7752.
(54) مسلم، 128/1 واللفظ له، ورواه الإمام أحمد، 386/5.
(55) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية رقم 45.
(56) انظر فتح الباري، 399/7.
(57) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية رقم 23.
(58) سير أعلام النبلاء، 76/13-85.
(59) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية رقم 30.
(60) الثبات عند الممات، ص 27.
(61) الثبات عند الممات، هامش 2، ص 28.
(62) رواه أحمد، 4/6، والحاكم، 289/2 وهو في السلسلة الصحيحة، 1772.
(63) رواه أحمد، 408/4، وهو في صحيح الجامع، 2361.
(64) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية رقم 32
(65) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، 156/12 .
(66) القرآن الكريم، سورة الضحى، الآية رقم 3.
(67) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية رقم 103.
(68) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية رقم 49.
(69) القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية رقم 27 .
(70) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 421/3.
(71) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم 66.
(72) القرآن الكريم، سورة هود، الآية رقم 120.
(73) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآيات 68-70.
(74) انظر فتح الباري، ج8، ص 22.
(75) القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآيتان 61-62.
(76) القرآن الكريم، سورة طه، الآية رقم 71.
(77) القرآن الكريم، سورة طه، الآية رقم 72.
(78) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم 72.
(79) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم 72.
(80) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم 72.
(81) انظر مسلم بشرح النووي، 204/16.
(82) رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً، تحفة الأحوذي، 349/6 وهو في صحيح الجامع، 7864 .
(83) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية رقم 45.
(84) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية رقم 59.
(85) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية رقم 32.
(86) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية رقم 6.
(87) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية رقم 15.
(88) حديث حسن رواه ابن ماجة عن أنس مرفوعاً، 237 ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، 127/1، وانظر الألباني في السلسلة الصحيحة، 1332.
(89) الوابل الصيب، ص 97.
(90) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيات 146-148
(91) رواه البخاري، انظر فتح الباري، 165/7.
(92) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم 196.
(93) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية رقم 17.
(94) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم 55.
(95) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر.
(96) الثبات عند الممات لابن الجوزي، ص34.
(97) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم 165.
(98) البداية والنهاية، 332/1.
(99) السير للذهبي، 238/11.
(100) سير أعلام النبلاء، 241/11.
(101) البداية والنهاية، 332/1.
(102) سير أعلام النبلاء، 241/11.
(103) سير أعلام النبلاء، 242/11.
(104) سير أعلام النبلاءن 240/11.
(105) رواه الترمذي، 50/2 وصححه في ارواء الغليل، 145/3.
(106) البخاري، كتاب الإيمان، رقم 39، ومسلم، كتاب المساقاة، رقم107، وابن ماجة، كتاب الفتن، رقم14، والدارمي، كتاب البيوع، رقم 1.
(107) رواه الترمذي، باب الفتن، 73، وأبو داود في كتاب الملاحم، 17، وابن ماجة في كتاب الفتن، 17، وأحمد 2: 390، 391.
(108) هم الرجال المغمورون الذين تصل لهم الزعامة فيتكلمون بأمر العامة. وقد ورد في ذلك الحديث في المسند لأحمد، الجزء الثاني، الحديثان 291، 338، والجزء الثالث: حديث رقم 22. وفي سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، حديث رقم24.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية.

ابن الجوزي، عبدالرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، ط2، (1405هـ/1985م).

ابن الجوزي، عبدالرحمن، الثبات عند الممات، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ/1986م.

ابن سورة، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق محمد أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن شرف النووي، يحيي الشافعـي (ت 676 هـ)، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،

(1407هـ/1987م).

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، ط1، (1411هـ/1991م).

ابن قايماز الذهبي، حمد بن أحمد بن عثمان (673 -748ه)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، 1413هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله (ت751 هـ)، الوابل الصيب، تحقيق إسماعيل بن محمد الأنصاري، طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله (ت751 هـ)، الداء والدواء، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2.

ابن كثير، إسماعيل القرشي الدمشقي (ت 774 هـ)، البداية والنهاية، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط3، (1411 هـ/1990م).

ابن كثير، إسماعيل القرشي (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، شرح السندي، 1420هـ/2000م، دار المعرفة، ط3.

أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (210-307هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1 (1404هـ/1984م).

أحمد بن حنبل، المسند، طبع مؤسسة قرطبة، مصر.

أحمد بن حنبل، المسند، طبع دار الفكر العربي.

الألباني، محمد ناصر الدين، 1419هـ/1998م، صحيح الترمذي، مكتبة المعارف، ط1.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع (للسيوطي)، المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد ناصر الدين، 1419هـ-1998م، صحيح النسائي (أحمد بن شعيب)، مكتبة المعارف، ط1.

الألباني، محمد ناصر الدين، 1422ه/2002م، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، ط1.

الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل، المكتب الإسلامي.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، 1400هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت 816هـ)، التعريفات، مطبعة الحلبي، مصر، (1938م).

الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، 1418هـ/1998م، دار الكتاب العربي، ط4.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله، المستدرك على الصحيحين (321-405 ه)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، 1411هـ/1990، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.

الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن (181-255هـ)، سنن الدارمي، مطبعة دار المحاسن، القاهرة، 1386هـ/1966م.

رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، لبنان، ط2.

زيدان، عبد الكريم، 1414هـ/1994م، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة.

الضحاك الشيباني، عمرو بن أبي عاصم (ت 287)، السنة، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، 1400هـ، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1.

الطاهر احمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، دار الكتب العربية، الطبعة الثالثة، 1980.

عتريس، محمد، 1418هـ/1998م، معجم التعبيرات القرآنية، دار الثقافة للنشر، ط1.

الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، طبعة دار الجيل.

الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، مكتبة لبنان، 1987م.

الكرمي، حسني سعيد، 1413هـ/1993م، الهادي إلى اللغة العربية، دار لبنان للطباعة والنشر، ط1.

المباركفوري، محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم، تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.

مختصر سنن أبي داود، وبهامشه معالم السنن للخطابي، وتهذيب الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، 1400هـ/1989م، دار المعرفة، بيروت.

النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، 1406هـ/1986م، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، حلب.

الواحدي النيسابوري، علي بن أحمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1412هـ/1992م، الموسوعة الفقهية، دار الصفوة، ط1.

The Means of Firmness in Qur'an and Hadith

Ameen M.S. Al-Manasyeh*

ABSTRACT

Allah gives the Muslim the opportunities to face different problems and solve them. The procedure of firmness was there in the Glorious Qur'an and Sunna. The researcher tries to collect information about ways of temptations to avoid them by following fifteen ways as follows: 1- Recitation of Qur'an. 2- Following advises of the Islamic religion. 3- Taking reason from Qur'anic stories. 4- Praying to Allah for help. 5- Remembrance of Allah all the way. 6- To have good behaviors and manners.7- Pedagogy to self, family, neighbors, and around. 8- Confidence about firmness on Qur'an and Sunna. 9- Preaching and practicing good. 10- Collecting good characters and using them. 11- Getting knowledge about falsehood and do not conceit on it in any way. 12- Surrounding around firmness elements. 13- Victory for Islam will come inspite of the numerous enemies. 14- Following the recommendations of righteous people and getting benefits of that. 15- Meditation of paradise life, hill-fire life and thinking about death. The conclusion contains the results and recommendations.

---

* Department of Religion's Fundamentals, Faculty of Shari'ah, Mu'tah University, Al-Karak, Jordan. Received on 8/3/2004 and Accepted for Publication on 23/12/2004.

---

[1] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم:102

[2] القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم:1.

[3] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، آية رقم:70.

[4] معجم مقاييس اللغة / ابن فارس / الطبعة الأولى (1411هـ – 1991م) دار الجيل .

[5] المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، مكتبة لبنان، 1987م، كتاب الفاء، مادة (فتن).

[6] قول استنبطته من الأثر (الفتنة نائمة فلعن الله من أيقظها).

[7] الموسوعة الفقهية، م32، ص 18. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج6. كتب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، المكتبة العلمية، ج4، ص167-169. الهادي إلى اللغة العربية، حسني سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1413هـ -1993م، ص374. كتاب التعريفات، للجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، 1418هـ -1998م، ص212. معجم التعبيرات القرآنية، محمد عتريس، دار الثقافة للنشر، الطبعة الأولى، 1418هـ –1998م، ص55.

[8] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1414هـ -1994م، ص81.

[9] غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، م1(ج1-2)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1416هـ – 1996م، ص597.

[10] كتاب التعريفات، الجرجاني، التعريفات، دون طبعة،صفحة (94) دار الشؤون الثقافية العامة.

[11] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر / ابن الجوزي / الطبعة الثانية(1405هـ – 1985م) – مؤسسة الرسالة .

[12] القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم 48.

[13] القرآن الكريم، سورة الأنفال، آية رقم 39 .

[14] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم 193 .

[15] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم 191 .

[16] القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم 91 .

[17] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، آية رقم 14 .

[18] القرآن الكريم، سورة إبراهيم، آية رقم 22.

[19] المصباح المنير، ص304.

[20] القرآن الكريم، سورة أل عمران، آية رقم 7 .

[21] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم 7 21.

[22] القرآن الكريم، سورة العنكبوت، آية رقم 10 .

[23] القرآن الكريم، سورة المائدة، آية رقم 49.

[24] القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية رقم 73 .

[25] القرآن الكريم، سورة يونس، آية رقم 83 .

[26] المصباح، ص 151.

[27] القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية رقم 23 .

[28] المصباح، 181.

[29] القرآن الكريم، سورة المائدة، آية رقم 41

[30] المصباح 316.

[31] القرآن، الكريم، سورة طه، آية رقم 40 .

[32] القرآن الكريم، سورة العنكبوت، آية رقم 3 .

[33] القرآن الكريم، سورة طه، آية رقم 85 .

[34] القرآن، الكريم، سورة الدخان، آية رقم 17 .

[35] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم 102 .

[36] القرآن الكريم، سورة ص، آية رقم 24 .

[37] القرآن الكريم، سورة ص،آية رقم 34 .

[38] القرآن الكريم، سورة الأنفال، آية رقم 28 .

[39] القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية رقم 20 .

[40] القرآن الكريم، سورة الممتحنة، آية رقم 5 .

[41] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية رقم 111 .

[42] القرآن الكريم، سورة سبأ، آية رقم 50.

[43] المصباح المنير، ص138.

---

[44] القاموس المحيط/ للفيروزآبادي، فصل الثاء باب التاء، والمصبح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، مكتبة لبنان، 1987م، كتاب الثاء، الثاء مع الباء وما يثلثهما، ص:31.

[45] استنبطته من خلال الاطلاع على المعاني فاختصرته بهذه الصورة.

[46] القرآن الكريم، سورة التوبة، آية رقم 76، 75.

[47] القرآن الكريم، سورة الكهف، آية رقم 28.

[48] رواه الإمام أحمد في السند 460/3 وهو في صحيح الجامع 5496.

[49] القرآن الكريم، سورة التغابن، آية رقم 14.

[50] رواه أبو يعلى 305/2 وله شواهد، وهو في صحيح الجامع 7037.

[51] القرآن الكريم، سورة البروج، آية رقم 4-9.

[52] رواه البخاري، انظر فتح الباري 315/12.

[53] رواه ابن ماجه 1359/2، انظر صحيح الجامع 7752.

[54] مسلم 128/1 واللفظ له، و رواه الإمام أحمد 386/5.

[55] القرآن الكريم، سورة الأنفال، آية رقم 45.

[56] انظر فتح الباري 399/7.

[57] القرآن الكريم، سورة الأحزاب، آية رقم 23.

[58] سير أعلام النبلاء 76/13-85.

[59] القرآن الكريم، سورة فصلت، آية رقم 30.

[60] الثبات عند الممات، ص 27.

[61] الثبات عند الممات، هامش 2 ص 28.

[62] رواه أحمد4/6 والحاكم 289/2 وهو في السلسلة الصحيحة 1772.

[63] رواه أحمد 408/4 وهو في صحيح الجامع 2361.

[64] القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية رقم 32

[65] أنظر صحيح مسلم بشرح النووي 156/12 .

[66] القرآن الكريم، سورة الضحى، آية رقم 3.

[67] القرآن الكريم، سورة النحل، آية رقم 103.

[68] القرآن الكريم، سورة التوبة، آية رقم 49.

[69] القرآن الكريم، سورة إبراهيم، آية رقم 27 .

[70] تفسير القرآن العظيم لابن كثير 421/3.

[71] القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم 66.

[72] القرآن الكريم، سورة هود، آية رقم 120.

[73] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية رقم 68-70.

[74] انظر فتح الباري، ج8، ص 22.

[75] القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآيتان رقم 61-62.

[76] القرآن الكريم، سورة طه، آية رقم 71.

[77] القرآن الكريم، سورة طه، آية رقم 72.

[78] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم 72.

[79] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم 72.

[80] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم 72.

[81] انظر مسلم بشرح النووي 204/16.

[82] رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً تحفة الأحوذي 349/6 وهو في صحيح الجامع 7864 .

[83] القرآن الكريم، سورة الأنفال، آية رقم 45.

[84] القرآن الكريم، سورة النمل، آية رقم 59.

[85] القرآن الكريم، سورة فاطر، آية رقم 32.

[86] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية رقم 6.

[87] القرآن الكريم، سورة الشورى، آية رقم 15.

---

[88] حديث حسن رواه ابن ماجة عن أنس مرفوعاً،237 ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة 127/1،وانظر الألباني في السلسلة الصحيحة 1332.

[89] الوابل الصيب ص 97.

[90] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم 146-148

[91] رواه البخاري، انظر فتح الباري 165/7.

[92] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم 196.

[93] القرآن الكريم، سورة الرعد، آية رقم 17.

[94] القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية رقم 55.

[95] رواه البخاري في كتاب الزكاة —- باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم في كتاب الزكاة —- باب فضل التعفف والصبر.

[96] الثبات عند الممات لابن الجوزي ص34.

[97] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم 165.

[98] البداية والنهاية 332/1.

[99] السير للذهبي 238/11.

[100] سير أعلام النبلاء 241/11.

[101] البداية والنهاية 332/1 .

[102] سير أعلام النبلاء 241/11.

[103] سير أعلام النبلاء 242/11.

[104] سير أعلام النبلاء 240/11 .

[105] رواه الترمذي 50/2 وصححه في ارواء الغليل 145/3.

[106] البخاري: كتاب الإيمان، رقم: 39، ومسلم، كتاب المساقاة، رقم:107، وابن ماجة، كتاب الفتن، رقم:14، و الدارمي، كتاب البيوع، رقم: 1.

[107] رواه الترمذي، باب الفتن، 73، تفسير سورة: 5، 18، وأبو داود في كتاب الملاحم 17، وابن ماجة في كتاب الفتن 17، وأحمد 2: 390، 391.

[108] هم الرجال المغمورون الذين تصل لهم الزعامة فيتكلمون بأمر العامة . وقد ورد في ذلك الحديث في المسند لأحمد الجزء الثاني، حديث رقم: 291، 338، والجزء الثالث: حديث رقم: 22. وفي سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، حديث رقم:24.